



الخوارج : أولهم الصحابي حرقوص ، وآخرهم السلفية الوهابية والدواعش (7- 10)

بقلم: رائف محمد الويشي

20 نوفمبر 2014

في الحلقة الأولى من هذه الدراسة ناقشنا الخوارج من حيث المعني ، كما ناقشنا أيضا تمرکز دولهم علي مر التاريخ منذ اندحارهم في معركة النهروان في 9 صفر 38 هـ (يوليو 658 م) ..

في الحلقة الثانية ناقشنا تواجد الخوارج في الحديث النبوي ، وهو ما يعني أنهم كانوا متواجدين في حياة النبي (ص) ، ولاحظنا التحذيرات النبوية بشأنهم ..

في الحلقة الثالثة ناقشنا الفتنة التي وقعت في أعقاب مقتل الخليفة الثالث عثمان ثم فتنة معركة الجمل التي تلتها بشهور قليلة ، السبب في ذلك هو أن هاتين الفتنتين تمثلان المرحلة التمهيديّة التي ظهر في نهايتها الخوارج ..

في الحلقة الرابعة تحدثنا عن بداية الظهور الجماعي للخوارج في أعقاب معركة الجمل ، ورأينا محاولات الإمام علي (ع) معهم لحقن دماء المسلمين بالحوار معهم بأكثر مما فعل – زمنا وعددا - مع ثلاثي الجمل ..

في الحلقة الخامسة تحدثنا عن المصاعب الألام التي واجهت الإمام علي (ع) مع جيشه بعد صفين ، فقد أراد له الإمام علي (ع) أن يكون جيشا يؤسس علي الشورى واحترام الإنسان وحرية الكلمة والنقد والمساواة بين القائد وأصغر مرؤوسيه ، لكن الطبيعة البشرية المعرضة استغلت تلك الأخلاق السامية لإحداث فوضى شاملة في الجيش العلوي الثابت علي الحق ..

في الحلقة السادسة تحدثنا عن الخوارج بعد عودتهم من صفين واستقرارهم بقرية حروراء القريبة من الكوفة حيث يتواجد المسجد العلوي والموالون للإمام علي ..

في الحلقة السابعة اليوم سنتحدث عن الخوارج في مواجهتهم المسلحة مع الإمام علي (ع) في معركة النهروان ، وظهور العلامات النبوية التي تؤكد علي أن الإمام علي (ع) هو سيد الفرقة الناجية ..

أصبحت المواجهة المسلحة – بعد مقتل عبد الله بن خباب ومن معه من نساء - بين الإمام علي (ع) والخوارج مسألة وقت ، وقد قدم الإمام علي (ع) عدة مبادرات بعدم عدم الإقدام علي تلك المواجهة ، منها – كما ذكرنا – أن يقوم الخوارج بتسليم المنفذين لتلك المجزرة الدموية بحق بن الخباب ، ومنها التكتيف من إرسال الرسل إلي معسكر الخوارج بهدف تبصيرهم وتفنيد حججهم وشرح خطورة الموقف ، لكن في نهاية المطاف لم يكن هناك من خيار آخر أمام الإمام علي (ع) بإجراء التعبئة العامة في قواته للمواجهة مع الخوارج ، وقد واجه الإمام علي مشكلة حقيقية إزاء تلك التعبئة ..

يقول ابن الأعمم – توفي في عام 314 هـ - في الفتوح (ج 4 ص 100) أن الإمام علي (ع) عاني كثيرا لإقناع الكوفيين بالانخراط في جيشه لمواجهة الخوارج ..

هناك تفسير واحد يشرح أسباب الفتور الذي سيطر علي الكوفيين وجعلهم لا يتحمسون لتلبية دعوة الإمام علي (ع) لمواجهة الخوارج ، فقد كان الخوارج زنانين بالقرآن ويسيطن الزهد علي حياتهم ورافعين لشعارات إسلامية براقّة ، لقد اجتمعت تلك العوامل في عقول الكوفيين وجعلتهم ينخدعون في الخوارج ..

ذكر ابن المغازلي المالكي - توفي في عام 483 هـ - مناقب الإمام علي (ص 406) ، وبهاء الدين الأربلي - توفي في 692 هـ - في كشف الغمة عن علماء الأمة (ج 1 ص 277) عن جندب ابن عبد الله الأزدي أنه قال ما يلي :
" شهدت مع علي الجمل ، وصفين ، ولا أشك في قتالهم ، حتى نزلنا النهروان فدخلني شك ، وقلت : قرأونا وخيارنا نقتلهم!! إن هذا الأمر عظيم " ..

(ملاحظة : جندب بن عبد الله الأزدي كان من مساعدي الإمام علي (ع) في حروبه .. تذكر الرواية التي أوردناها أن جندب عاد إلى يقينه حين رأى صدق ما أخبر به الإمام علي بعدم عبورهم النهر ، كما سنذكر لاحقاً) ..

قال الخطيب البغدادي - توفي في عام 463 هـ - في تاريخه (ج 14 ص 365) عن أبي سليمان المرعشي أنه قال ما يلي :
" لما سار علي إلى أهل النهر سرت معه ، فلما نزلنا بحضرتهم أخذني غم لقتالهم لا يعلمه إلا الله تعالى حتى سقطت في الماء مما أخذني من الغم ، فخرجت من الماء وقد شرح الله صدر لي لقتالهم " ..

قال ابن قتيبة الدينوري - توفي في 276 هـ - في الإمامة والسياسة (ج 1 ص 136) عن عدي بن حاتم الطائي أنه قال :
" لو غير علي (ع) دعانا إلى قتال أهل الصلاة (يقصد الخوارج لكثرة صلاتهم) ما أجبناه ، فإنه ما وقع بأمر قط إلا ومعه من الله برهان ، وفي يده من الله سبب " ..

(ثلاث ملاحظات : الملاحظة الأولى : الصحابي عدي بن حاتم الطائي هو ابن حاتم الطائي الذي كان أحد أكرم العرب في الجاهلية ، وقد ورد أن الإمام علي الرضا (ع) أنه قال أن رسول الله (ص) قال لعدي : رفع عن أبيك العذاب بسخاوة نفسه ، وقد نشأ عدي في بيت هذا الكرم فورثه ، كما انتهت إليه رئاسة طيء فورثها بعد أبيه ، وفيه يقول الشاعر :
شابه حاتم عدي في الكرم
ومن يشابه أباه فما ظلم
ومن أخبار جود عدي أنه سمع رجلاً من الأعراب يقول يا قوم، تصدقوا على شيخ مُعيل، وعابر سبيل، شهد له ظاهره، وسمع شكواه خالفه.. بدئه مطلوب، وثوبه مسلوب. فقال له عدي: مَنْ أنت ؟ قال: رجلٌ من بني سعد في ديةٍ لَزَمْتُني ، قال : فكم هي ؟ قال :مائة بعير، قال عدي: دونكها في بطن الوادي..
أرسل الأشعث بن قيس إلى عدي يستعير منه قُدور حاتم أبيه ، فأمر بها عدي فمُلئت ، وحملها الرجال إلى الأشعث، فأرسل الأشعث إليه: إنَّما أردناها فارغة، فأرسل إليه عدي: إنَّا لا نُعيرها فارغة..
وصفه ابن عبد الزبَّير بأنَّه كان سيِّداً شريفاً في قومه، فاضلاً كريماً ، خطيباً حاضر الجواب.. وقال فيه ابن كثير : كان حاتم جواداً مُمدحاً في الجاهليَّة ، وكذلك ابنه في الإسلام.. وقال ابن حجر العسقلاني فيه: وُلد الجواد المشهور ، أبو طريف ، وكان جواداً .. وقال ابن الأثير: وكان جواداً شريفاً في قومه ، معظماً عندهم وعند غيرهم..

الملاحظة الثانية : بلغت فتنة الخوارج إلي الحد الذي جعل طرفه ابن عدي يقاتل معهم بينما يقاتل أبوه عدي في صف الإمام علي (ع) ، وقد قتل طرفه في النهروان ودفنه أبوه عدي بأمر من الإمام علي (ع) ، راجع الطبري في تاريخ الأمم والملوك (ج 4 ص 66) ، وابن الأثير في الكامل في التاريخ (ج 3 ص 348) ، وابن خلدون في تاريخه (ج 2 قسم 2 ص 181) ، وسبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص ص 105 ..

الملاحظة الثالثة : نستطيع أن نستشعر من هذه الفقرة أن من انضم إلي الخوارج هم أعراب ، جهال ، قساة القلوب ، ومن أصحاب الحاجات ، وقد قال فيهم مالك الأستر - أحد أبرز قادة الإمام علي - ما يلي : هم أراذل العراق ، قتل أمثالهم ، وبقي أراذلهم ..

تعلّب الإمام علي (ع) علي تلك المشكلة الكبيرة بإتياع النقاط التالية :

- 1- مخاطبة الكوفيين بأن مصيرهم علي أيدي الخوارج سيكون كمصير عبد الله بن خباب ، لو تكاسلوا في مواجهتهم ..
- 2- تذكير الكوفيين بأحاديث نبوية في المارقة ..
- 3- تقديم معجزات نبوية علمها من النبي (ص) ستقع في مواجهته مع الخوارج ..

أما النقطة الأولى ، فقد وصل المبصرون بالكوفة لقتاعة بضرورة مواجهة الخوارج والحسم معهم قبل التوجه إلي الشام لمواجهة معاوية ، وقد ذكرنا في تلك الحلقة حديث ابن الصباغ في الفصول المهمة قول الكوفيين للإمام علي (ع) : يا أمير المؤمنين ، على ما ندع هؤلاء وراءنا يخلفونا في أموالنا وعيالنا؟! سر بنا إليهم ، فإذا فرغنا منهم سرنا إلى أعدائنا من أهل الشام ..

أما النقطة الثانية ، فقد ورد أن الإمام علي (ع) قال للكوفيين الأحاديث النبوية في المارقة في مناسبات عديدة لإقناعهم بضرورة الحشد لمواجهة الخوارج ..

ذكر مسلم – توفي في 261 هـ - بصحيحه (حديث رقم 1066) ، والنسائي – توفي في 303 هـ - بالسنن الكبرى (حديث رقم 8562) ، وابن حبان – توفي في 354 هـ - بصحيحه (حديث رقم 6939) عن عبيد الله بن أبي رافع ، مولى رسول الله أنه قال ما يلي :
" أن الحرورية لما خرجت، وهو مع علي بن أبي طالب ، قالوا : لا حكم إلا لله ، قال علي : كلمة حق أريد بها باطل ، إن رسول الله صلى الله وعليه سلم وصف ناسا إني لأعرف صفتهم في هؤلاء ، يقولون : الحق بألسنتهم لا يجاوز هذا منهم ، وأشار إلى حلقه " ..

ذكر أحمد – توفي في 241 هـ - في مسنده (رقم الحديث 10376) عن سويد بن غفلة قال : قال علي : إذا حدثتكم عن رسول الله فَلَأَنْ أَجْرَ مَنْ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكْذِبَ عَلَيْهِ وَإِذَا حَدَّثْتُمْ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ فَإِنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ ، سمعت رسول الله (ص) يقول :
" يخرج قوم من أمتي في آخر الزمان أحداث الأسنان ، سفهاء الأحلام ، يقولون من قول خير البرية ، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم - قال عبد الرحمن : لا يجاوز إيمانهم حناجرهم - يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم ، فإن في قتلهم أجرا لمن قاتلهم عند الله يوم القيامة " ..

وأما النقطة الثالثة ، فقد قدم فيها الإمام علي (ع) إلي الموالين المعجزات النبوية التي علمها من النبي (ص) في شأن الخوارج ، وكان الغرض من ذلك هو التأكيد لهم علي الحق ، وهذه البراهين والمعجزات دليل علي ضعف الإيمان الذي كان لدي الكوفيين ، لهذا فهم في حاجة إلي براهين طازجة باستمرار تقنعهم بأنهم علي الحق ، فكل من طلب معجزات من نبي أو وصي كان عنده شك فيه ، ولنا في اليهود أكبر مثال علي ذلك حين أكثروا من طلباتهم " أدعو لنا ربك " ، كانت المعجزات العلوية للكوفيين ما يلي :

- 1- المواجهة مع الخوارج ستكون قبل عبورهم النهر ، وليس بعد عبورهم ..
- 2- لن ينجو من الخوارج إلا دون العشرة ..
- 3- لن يُقتل من جيش الإمام إلا دون العشرة ..
- 4- سيقتل بالنبال الرجل الذي سيحمل المصحف إلي الخوارج ..
- 5- سيقتل ذو الثدية مع الخوارج ، وإلا فهم – أي الخوارج – خير الناس ونحن شر الناس ..

أعداد الجيشين متساوية تقريبا

أحرز الخوارج سبقا علي الإمام علي (ع) بتعبئة أعداد تزيد قليلا عن الأعداد التي ضمها جيشه ، وقد اختلفت أرقام الجيشين عند المؤرخين ، لكن الرقم الذي يقترب من الصواب هو أن كل طرف كان لديه أربعة آلاف من المقاتلين ، وكان جيش الخوارج يزيد قليلا عن جيش الإمام علي .. (راجع ابن حبان في الثقات ج 2 ص 296) ..

يدعم ابن الأعمش في الفتوح (ج 4 ص 105) كلام ابن حبان ، فهو يقول أن الإمام علي (ع) بذل مجهودا كبيرا في تعبئة الناس ، وقد استجاب له بعض الكوفيين ببطء بعد أن ألقى خطبته الثالثة ..

(ملاحظة : عاني الإمام علي (ع) أشد المعاناة من العراقيين ، ومن بعده عاني جميع أئمة أهل البيت نفس المعاناة من العراقيين أيضا ، وكفانا أن فجيعة الحسين (ع) قد وقعت بعد أن أستتصره الكوفيون فلما لبي نداءهم خذلوه) ..

قال نور الدين ابن أبي بكر الهيثمي – توفي في 973 هـ - في مجمع الزوائد (ج 6 ص 241) حول أعداد الخوارج ما يلي :
" رجع منهم عشرون ألفاً ، وبقي منهم أربعة آلاف فقتلوا " ، قال الهيثمي : رواه الطبري وأحمد بعضه ، ورجالهما رجال للصحيح ..

قال النسائي – توفي في عام 303 هـ - في خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب علي (ص 147) ، وابن أبي حديد – توفي في عام 656 هـ - في شرح نهج البلاغة (ج 4 ص 99) عن أبي وائل - أحد العائدين إلي جيش الإمام - ما يلي :
" خرجنا أربعة آلاف فخرج إلينا علي ، فما زال يكلمنا حتى رجع منا ألفان " ..

قال ابن عساكر – توفي في عام 571 هـ - في تاريخ مدينة دمشق (ج 3 ص 152) ما يلي :
" نتج عن الاحتجاج عليهم أن رجع ثلثهم ، وانصرف ثلثهم ، وقتل سائرهم على ضلالة " ..

(ملاحظة : يعود الاختلاف بين المؤرخين على أعداد العائدين إلي جيش الإمام علي (ع) إلي تعدد مراحل عودتهم علي مدي ستة أشهر واستمرارها حتى قبل لحظات قليلة من اندلاع القتال بين الطرفين ..)

بدأت المشاكل في الظهور بجيش الإمام علي (ع) بمجرد تحركه من الكوفة باتجاه قرية حروراء حيث يتواجد الخوارج ، فقد قال له أحد أفراد الجيش : يا أمير المؤمنين ، لا تسر في هذه الساعة ، وسر على ثلاث ساعات مضين من النهار ، فإنك إن سرت في هذه الساعة أصابك وأصحابك أذى وضر شديد ، وإن سرت في الساعة التي أمرتك بها ظفرت وظهرت ، وأصبت ما طلبت ..

رفض الإمام علي (ع) نصائح الرجل وقال له : " إن محمداً صلى الله عليه وآله ما كان يدعي علم ما ادّعت علمه ، أتزعم أنك تهدي إلي الساعة التي يصيب النفع من سار فيها ، وتصرف عن الساعة التي يحيق السوء بمن سار فيها ؟ فمن صدقك بهذا فقد استغنى عن الاستعانة بالله جل ذكره في صرف المكروه عنه نخالف ونسير في الساعة التي نهيتنا عنها " ..

يذكر المسعودي – توفي في 346 هـ - في مروج الذهب (ج 2 ص 405) ، والخطيب البغدادي – توفي في 463 هـ - في تاريخ بغداد (ج 1 ص 205) ، وابن الأثير – توفي في 630 هـ - في الكامل في التاريخ (ج 3 ص 345) بألفاظ متشابهة :
" ذكر المدائني ، قال : لما خرج علي إلى أهل النهر أقبل رجل من أصحابه ممن كان على مقدمته يركض ، حتى انتهى إلى علي ، فقال :
البشري يا أمير المؤمنين ..

قال علي : ما بشراك ؟

قال الرجل : إن القوم عبروا النهر لما بلغهم وصولك ، فأبشر ، فقد منحك الله أكتافهم ..

قال علي : الله ! أنت رأيتهم عبروا ؟!

قال الرجل : نعم ..

فأحلفه علي ثلاث مرات ، في كلها يقول : نعم ..

قال علي : والله ، ما عبروه ، ولن يعبروه ، وإن مصارعهم لدون النطفة ، والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة لن يبلغوا الأثلاث ، ولا قصر يوازن حتى يقتلهم الله ، وقد خاب من افتري ..

قال : ثم أقبل فارس آخر يركض ، فقال كقول الأول ، فلم يكثر علي فجال في متن فرسه ..

قال : فيقول شاب من الناس ، والله لأكونن قريباً منه ، فإن كانوا عبروا النهر لأجعلن سنان هذا الرمح في عينه ، أيدعي علم الغيب ؟!

(ذكر ابن الأثير في الكامل في التاريخ : والله ما عبروه ، وإن مصارعهم لدون الجسر ، والله ، لا يقتل منكم عشرة ، ولا يسلم منهم عشرة .. وكان الناس قد شكوا في قوله ، وارتاب به بعضهم ، فلما رأوا الخوارج لم يعبروا كبروا ، وأخبروا علياً بحالهم ، فقال : والله ، ما كذبت ولا كذبت ..)

فلما انتهى إلي النهر وجد القوم قد كسروا جفون سيوفهم ، وعرقبوا خيولهم ، وجثوا على ركبهم ، وحكموا تحكيمة واحدة ، بصوت عظيم ، له زجل ..

فنزل ذلك الشاب ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنني كنت شككت فيك أنفاً ، وإنني تائب إلى الله وإليك ..

فقال علي : إن الله هو الذي يغفر الذنوب جميعاً ، فاستغفره ..

ينقل بهاء الدين الأربلي – توفي في 692 هـ - في كشف الغمة عن علماء الأمة (ج 1 ص 274) قول الإمام علي كما يلي :

" والذي بعث محمداً لا يعبرون ، ولا يبلغون قصر بنت كسرى ، حتى تقتل مقاتلتهم على يدي ، فلا يبقى منهم إلا أقل من عشرة ، ولا يقتل من أصحابي إلا أقل من عشرة " ..

قال المتقي الهندي – توفي في عام 975 هـ - في كنز العمال (ج 11 ص 290) عن ابن عساكر عن جندب الأزدي ما يلي :

" لما عدنا إلى الخوارج مع علي بن أبي طالب ، قال : يا جندب ، تري تلك الرابية ؟ قلت : نعم ، قال : فإن رسول الله أخبرني أنهم يقتلون عندها " ..

قال نور الدين ابن أبي بكر الهيثمي - توفي في 807 هـ - في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (ج 6 ص 241) ما يلي :

" عن جندب قال: لما فارقت الخوارج علياً خرج في طلبهم وخرجنا معه ، فانتهينا إلى عسكر القوم وإذا لهم دوي كدوي النحل من قراءة القرآن ، وإذا فيهم أصحاب الثغفات وأصحاب البرانس ، فلما رأيتهم دخلني من ذلك شدة ، ففتحيت فركزت رمحي ونزلت عن فرسي ووضعت برنسي فنثرت عليه درعي ، وأخذت بمقود فرسي فقامت أصلى إلى رمحي ، وأنا أقول في صلاتي: اللهم إن كان قتال هؤلاء القوم لك طاعة فائذن لي فيه ، وإن كان معصية فأرني براءتك ! قال: فأنا كذلك إذ أقبل علي بن أبي طالب على بغلة رسول الله(ص) فلما حاذاني قال: تعوذ بالله ، تعوذ بالله يا جندب من شر الشك ! فجئت أسعى إليه ونزل فقام يصلي ، إذ أقبل رجل على برذون يقرب به ، فقال يا أمير المؤمنين؟ قال: ما شأنك؟ قال ألك حاجة في القوم؟ قال: وما ذلك؟ قال: قد قطعوا النهر . قال: ما قطعوه ! قلت: سبحان الله! ثم جاء آخر أرفع منه في الجري فقال يا أمير المؤمنين؟ قال: ما تشاء؟ قال ألك حاجة في القوم؟ قال: وما ذلك؟ قال: قد قطعوا النهر فذهبوا ، قلت : الله أكبر . قال علي: ما قطعوه ، ثم جاء آخر يستحضر بفرسه فقال يا أمير المؤمنين؟ قال: ما تشاء؟ قال ألك حاجة في القوم؟ قال: وما ذلك؟ قال: قد قطعوا النهر . قال: ما قطعوه ولا يقطعونه وليقتلن دونه ، عهد من الله ورسوله ! قلت: الله أكبر ، ثم قمت فأمسكت له بالركاب فركب فرسه ، ثم رجعت إلى درعي فلبستها ، والى قوسي فعلقته وخرجت أسايره .. رواه الطبراني في الأوسط من طريق أبي السابعة عن جندب ، ولم أعرف أبا السابعة ، وبقية رجاله ثقات .. "

محاولات الإمام علي (ع) الأخيرة لإنقاذ الخوارج من المهلكة

ذكرنا في موقعة الجمل أن الإمام علي (ع) قام قبل لحظات من اندلاع القتال يوم الجمل بعدة محاولات لحقن الدماء ، منها إرسال رجل بمصحف لجيش الجمل كرسالة تذكير بحرمة الدماء بين المسلمين ، فقتلوه ، ومنها عندما نادي علي طلحة والزبير وقام بمجهود شخصي منه لإقناعهما بوقف القتال ، فافتنع الزبير وغادر أرض المعركة وأصر طلحة وقتل في مواجهة إمام زمانه ، ثم تلتها فترة صمت من جيش الإمام علي انتظاراً كي يبدأ ثلاثي الجمل الحرب ..

هنا في النهروان يفعل الإمام علي (ع) الشيء نفسه تقريبا ، فيخطب في القوم بمبادرة منه لإقناعهم بوقف القتال ثم يرسل رجلاً بمصحف فيقتلوه ، كما فعلوها يوم الجمل ، ثم يدخل جيش الإمام علي - بناءً علي أوامر منه - فترة صمت وانتظار حتى يبدأ الخوارج القتال ..

ذكر الزبير بن بكار القرشي - توفي في 256 هـ - في الموفقيات (ص 325) ، وابن قتيبة الدينوري - توفي في 276 هـ - في الإمامة والسياسة (ج 1 ص 109) ، والطبري - توفي في 310 هـ - في تاريخ الأمم والملوك (ج 4 ص 62) ، وابن أبي حديد في شرح نهج البلاغة (ج 1 ص 458) الخطبة التي ألقاها الإمام علي (ع) في جيش الخوارج قبل لحظات من اندلاع القتال ، وجاء فيها ما يلي :

" لما استوي الصفان بالنهروان ، تقدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بين الصفيين ثم قال :
 أما بعد ، أيتها العصابة التي أخرجتها عادة المراء والضلالة ، وصدف بها عن الحق الهوى والزيف ، إني نذير لكم أن تصبحوا غداً صرعى بأكناف هذا النهر ، أو بملطاط من الغائط ، بلا بينة من ربكم ، ولا سلطان مبين ..
 ألم أنهكم عن هذه الحكومة ، وأحذركموها ، وأعلمكم أن طلب القوم لها دهن منهم ومكيدة ، فخالقتم أمري ، وجانيتم الحزم فعصيتموني ، حتى أقررت بأن حكمت ، وأخذت على الحكمين ، فاستوثقت ، وأمرتهما أن يحييا ما أحيا القرآن ، ويميتا ما أمات القرآن ، فخالفاً أمري ، وعملا بالهوى ، ونحن على الأمر الأول ، فأين تذهبون ، وأين يتاه بكم " ..
 تدخل في تلك اللحظة خطيب الخوارج ، فطلب من الإمام علي (ع) أن يتوب من الكفر كما تابوا ، فرد الإمام عليه بالتالي :
 " أصابكم حاصب ولا بقي منكم وابر ، أبعد إيماني بالله ، وجهادي في سبيل الله ، وهجرتي مع رسول الله أقر بالكفر؟! لقد ضللت إذأ وما أنا من المهتدين ، ولكن منيت بمعشر أخفاء الهام سفهاء الأحلام ، والله المستعان ! " ..

ويضيف ابن أبي حديد في المصدر السابق (ج 2 ص 283) أن الإمام علي (ع) قال لهم في تلك الخطبة أيضا ما يلي :

" نحن أهل بيت النبوة ، وموضع الرسالة ، ومختلف الملائكة ، وعنصر الرحمة ، ومعدن العلم والحكمة ، نحن أفق الحجاز ، بنا يلحق البطيء ، وإلينا يرجع التائب " ..

قال نور الدين ابن أبي بكر الهيثمي – توفي في 807 هـ - في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (ج 6 ص 241) عن الطبراني في المعجم الأوسط ، والمتقي الهندي في كنز العمال (ج 11 ص 276) عن الطيالسي عن جندب بن عبد الله الأزدي أنه قال:
" فانتبهنا إلى القوم ، وهم في معسكرهم الذي كانوا فيه ، لم يبرحوا ، فنادي علي في أصحابه ، فصّفهم ، ثم أتى الصف من رأسه ذا إلى رأسه ذا ، مرتين ، ثم قال : من يأخذ هذا المصحف ، فيمشي به إلى هؤلاء القوم ، فيدعوهم إلي كتاب الله وسنة نبيه وهو مقتول ، وله الجنة ؟ فلم يجبه إلا شاب من بني عامر بن صعصعة .. فلما رأى على حداثة سنه قال له: ارجع إلى موقفك ، ثم نادي الثانية فلم يخرج إليه إلا ذلك الشاب ، ثم نادي الثالثة فلم يخرج إليه إلا ذلك الشاب ..
فقال له علي : خذ ، فأخذ المصحف ، فقال له : أما إنك مقتول ، ولست مقبلاً علينا بوجهك حتى يرشقوك بالنبل ..
فخرج الشاب بالمصحف إلى القوم ، فلما دنا منهم حيث يسمعون قاموا ، ونشبوا الفتى قبل أن يرجع ، فرماه إنسان ، فأقبل علينا بوجهه ، ففقد " ..

يقول الخطيب البغدادي – توفي في 463 هـ - في تاريخ بغداد (ج 1 ص 206) أن الإمام علي حاول مرة أخرى أن يحصر المسألة في أولئك الذين اقترفوا جريمة مقتل ابن خباب وأهله ويترك بقية الخوارج في سلام حتى يفرغ من معاوية ، فيذكر التالي :
" الله أكبر ، نادوهم : اخرجوا إلينا قاتل عبد الله بن خباب ، قالوا : كلنا قتله ، فناداهم ثلاثاً ، كل ذلك يقولون هذا القول " ..

ويضيف الخطيب البغدادي في نفس المصدر في نص آخر أكثر تفصيلاً قول الإمام علي (ع) للخوارج ما يلي :
" أيكم قتل عبد الله بن خباب بن الأرت وزوجته وابنته ، يظهر لي يظهر لي أقتله بهم ، وأنصرف عهداً إلى مدة ، حكم الله أنتظر فيكم؟
فنادوا : كلنا قتل بن خباب وزوجته وابنته ، وأشرك في دمانهم ..
فناداهم أمير المؤمنين : أظهروا إلي كتائب ، وشافهوني بذلك ، فإني أكره أن يقر به بعضكم في الضوضاء ، ولا يقر بعض ولا أعرف ذلك في الضوضاء ، ولا استحل قتل من لم يقر بقتل من أقر ، لكم الأمان حتى ترجعوا إلى مراكزكم كما كنتم ..
ففعلوا ، وجعلوا كلما جاء كتيبة ، سألهم عن ذلك ، فإذا أقروا عزلهم ذات اليمين ، حتى أتى على آخرهم ..
ثم قال : ارجعوا إلى مراكزكم ، فلما رجعوا ناداهم ثلاث مرات : رجعتكم كما كنتم قبل الأمان من صفوفكم ؟
فقالوا جميعاً : نعم ..
فالتفت إلي الناس ، فقال ، الله أكبر ، والله لو أقر بقتلهم أهل الدنيا ، وأقدر على قتلهم لقتلتهم ، شدوا عليهم ، فأنا أول من شد عليهم .. وعزل بسيف رسول الله (ص) ثلاث مرات ، كل ذلك يسويه على ركبتيه من اعوجاجه ، ثم شد الناس معه ، فقتلوه ، فلم ينج منهم تمام عشرة " ..

قال البلاذري – توفي في عام 297 هـ - في أنساب الأشراف (ج 2 ص 371) ، وابن أبي حديد – توفي في عام 656 هـ - في شرح نهج البلاغة (ج 2 ص 271) ، وابن كثير – توفي في عام 774 هـ - في البداية والنهاية (ج 7 ص 289) أن الإمام علي قال لجيشه يوم النهروان ما يلي :
" كفوا عن الخوارج حتى يبدؤوكم " ..

قال ابن شهر آشوب – توفي في عام 588 هـ - في مناقب آل أبي طالب (ج 2 ص 371) ما يلي :
" فلما أتاهم أمير المؤمنين عليه السلام فاستعطفهم فأبوا إلا قتاله " ..

قال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (ج 14 ص 368) ما يلي :
" فقال علي لأصحابه : لا تبدؤوهم ، قال : فبدأ الخوارج فرموا ، فقتل : يا أمير المؤمنين ، قد رموا ، قال : فأذن لهم بالقتال " ..

(ثلاث ملاحظات : **الملاحظة الأولى** : كانت الأخلاق العلوية في القتال مستمدة من أخلاق النبوة العجدية ، وقد طبقها الإمام علي (ع) في كل حروبه ، هكذا يفعل الأوصياء ، وكانت مبنية على ثلاث نقاط وهي :
1- الانتظار حتى يبدأ الطرف الآخر بالقتال ..
2- عدم الإجهاز على الجرحى بل معالجتهم ، وعدم ملاحقة المدبرين ..
3- عدم التمثيل بالجنث ..

الملاحظة الثانية : أجبر الطابور الخامس الإمام علي (ع) في حروبه داخلية مستمرة حتى لا يتفرغ للرسالة المحمدية العالمية ، وفي هذا الشأن لم يسب الإمام المسلمين أو يستحل أعراضهم وأموالهم ، وقد ذكرنا ما يبين ذلك من مصادر في حرب الجمل ، أما هنا في النهروان ، فنذكر التالي :

1- **ينقل ابن قتيبة** في الإمامة والساسة (ج 1 ص 149) ، والبلاذري في أنساب الأشراف (ج 2 ص 371) ، وابن الأعمش في الفتوح (ج 4 ص 125) ، وابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب (ج 3 ص 189) ، وابن الأثير في الكامل في التاريخ (ج 3 ص 345) ، وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة (ص 93) تصريحاً من قادة الإمام علي (ع) كما يلي :

" وأخذ علي ما كان في عسكرهم من كل شيء ، فأما السلاح والدواب ، فقسمه علي بيننا ، وأما المتاع والعبيد والإماء ، فإنه حين قدم الكوفة رده على أهله " ..

2- **قال البلاذري** في أنساب الأشراف (ج 2 ص 374) ، والطبري في تاريخ الأمم والملوك (ج 4 ص 66) ، وسبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص (ص 105) ، وابن الأثير في الكامل في التاريخ (ج 3 ص 348) ، وابن كثير في البداية والنهاية (ج 7 ص 289) ما يلي :

" وجد علي ممن به رمق أربعمانه ، فدفعهم إلى عشائرهم ، ولم يجهز عليهم ، ورد الرقيق والمتاع على أهله حينما قدم الكوفة ، وقسم الكراع والسلاح وما قوتل به بين أصحابه " ..

الملاحظة الثالثة : شتان بين تلك الأخلاق الراقية وما فعله الأمويون وأتباعهم من السلفية الوهابية والدواعش من ذبح وانتهاك للأعراض والأموال ، وسوف نذكر بعض تفاصيل ذلك في نهاية الحلقة الأخيرة ..

راية الأمان تنقذ ثمانية آلاف من الخوارج في الدقائق الأخيرة

حتى بعد كل المحاولات التي سلكها الإمام علي (ع) لحق الدماء مع الخوارج سواء في المناشآت التي طالت لسنة أشهر أو في أرض المعركة ، نراه هنا قبل ثوان من بدأ المعركة ينادي في الخوارج بأن أيوب الأنصاري يرفع راية الأمان ومن يلجأ إليه فهو آمن ، فينقذ بتلك الخطوة ثمانية آلاف من الخوارج من الخوارج ..

قال ابن الأعمش – توفي في 314 هـ - في الفتوح (ج 4 ص 125) ، وابن شهر آشوب – توفي في 588 هـ - في مناقب آل أبي طالب (ج 3 ص 189) ما يلي :

" بل استأمن إليه منهم ألفان " ..

قال بهاء الدين الأربلي – توفي في 692 هـ - في كشف الغمة عن علماء الأمة (ج 1 ص 365) ما يلي :

" لم يزل يعظهم ، ويدعهم ، فلما لم ير عندهم انقياداً ركز لهم راية أمان... فتقدم علي إليهم ، فكلموه ، وذكروا ما نغموه عليه ، فأجابهم عنها ، فاستأمن ثمانية آلاف ، فأمرهم بأن يعتزلوه في ذلك الوقت ، ثم حارب الباقين ، فقتلهم ، وكانوا أربعة آلاف " ..

يقول ابن قتيبة الدينوري الشافعي – توفي في عام 276 هـ - في الإمامة والسياسة (ج 1 ص 147) ما يلي :

" فرجع علي فعياً أصحابه ، فجعل على الميمنة حجر بن عدي ، وعلى الميسرة شيبث بن ربعي (أو معقل بن قيس) وعلى الخيل أبا أيوب الأنصاري ، وعلى الرجال أبا قتادة ، وعلى أهل المدينة - وهم ثمان مئة رجل من الصحابة - قيس بن سعد بن عبادة ، ووقف علي في القلب في مضر ثم رفع لهم راية أمان مع أبي أيوب الأنصاري ، فناداهم أبو أيوب : من جاء منكم إلى هذه الراية ، فهو آمن ، ومن دخل المصر فهو آمن ، ومن انصرف إلى العراق ، ومن خرج من هذه الجماعة فهو آمن ، فإنه لا حاجة لنا في سفك دمائكم " ..

زاد ابن الأثير – توفي في عام 630 هـ - في الكامل في التاريخ (ج 3 ص 346) ، وابن الصباغ المالكي – توفي في عام 855 هـ - في الفصول المهمة (ص 93) قول الإمام علي (ع) ما يلي :

" ومن انصرف إلى الكوفة ، فهو آمن ، ومن انصرف إلى المدائن فهو آمن ، لا حاجة لنا بعد أن نصيب قتلة إخواننا في سفك دماءكم ، فانصرف فروة بن نوفل الأشجعي في خمس مئة فارس ، وخرجت طائفة أخرى منصرفين إلى الكوفة ، وطائفة أخرى إلى المدائن ، وتفرق أكثرهم ، بعد أن كانوا اثني عشر ألفاً ، فلم يبق منهم غير أربعة آلاف " ..

عدد القتلى هنا وهناك ، أية أخرى من آيات النبوة المحمدية

ذكرنا في الفقرة السابقة ما يبين أن أعداد الخوارج كانت أكثر من أعداد الجيش الموالي للإمام علي (ع) ، وكانت نتيجة المناشآت والخطب التي ألقاها الإمام علي (ع) عليهم وراية الأمان في الثوان الأخيرة أن نزلت أعدادهم لتساوي – أو تزيد قليلاً – مع أعداد

الموالين لجيش الإمام ، نستطيع إذن أن نتوقع أن أعداد القتلى من الطرفين سيكون شبه متساو ، طبقاً لتساوي القوة بينهما ..

لكن البعيد عن المعقول أن يصدر تصريح من الإمام علي (ع) - قبل بدأ المعارك - يقول فيه بأن الناجين من الخوارج سيكون أدنى من عشرة وأن القتلى من أصحابه سيكون أدنى من العشرة ، هذه هي طبيعة العلامات النبوية بصدق الرسالة المحمدية ، تماماً كما أخبرهم الإمام بأنهم سيقاتلون قبل عبور النهر وليس بعده ..

ذكر الخطيب البغدادي - توفي في عام 463 هـ - في تاريخ بغداد (ج 14 ص 365) ما يلي :
" أن الخوارج حملت على الناس ، حتى بلغوا منهم شدة ، ثم حملوا عليهم الثانية ، فبلغوا من الناس أشد من الأولى ، ثم حملوا الثالثة حتى ظن الناس أنها الهزيمة ، فقال علي : والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ، لا يقتلون منكم عشرة ، ولا يبقى منهم عشرة ، فلما سمع الناس ذلك حملوا عليهم ، فقتلوا " ..

عرفنا أيضاً من الفقرة السابقة أن المؤرخين قد اختلفوا في أعداد العائدين من الخوارج إلي جيش الإمام علي (ع) ، وبناء علي ذلك فقد اختلف أيضاً الأرقام بينهم علي أعداد قتلي الخوارج ..

ذكر اليعقوبي - توفي في 284 هـ - في تاريخه (ج 2 ص 167) ، والنسائي - توفي في 303 هـ - في خصائص أمير المؤمنين (ص 147) ، والحاكم - توفي في 405 هـ - في المستدرک (ج ص) ، وابن شهر آشوب - توفي في 588 هـ -- في مناقب آل أبي طالب (ج 1 ص 267) ، وابن كثير - توفي في 774 هـ - في البداية والنهاية (ج 7 ص 276) في أعداد مقاتلي وقتلي الخوارج ما يلي :
" كانوا ستة آلاف ، رجع منهم ألفان ، وقتل الباقون " ..

ذكر ابن أبي حديد - توفي في عام 656 هـ - في شرح نهج البلاغة (ج 4 ص 99) عن أبي وائل أنه قال ما يلي :
" كانوا أربعة آلاف ، رجع منهم ألفان ، وقتل الباقون " ..

قال ابن الأعمش - توفي في عام 314 هـ - في الفتوح (ج 4 ص 132) ما يلي :
" فاختلفت القوم ، فلم تكن إلا ساعة حتى قتلوا بأجمعهم وكانوا أربعة آلاف ، فما فلت منهم إلا تسعة نفر . فهرب منهم رجلان إلى خراسان إلى أرض سجستان وفيها نسلهما إلى الساعة ، ورجلان صارا إلى بلاد الجزيرة إلى موضع يقال له سوق التورخ ، وإلى شاطئ الفرات ، فهناك نسلهما إلى الساعة ، وصار رجل إلى تل يقال له: تل موزن " ..

ذكر ابن عبد ربه - توفي في عام 328 هـ - في العقد الفريد (ج 2 ص 490) ، وابن العماد الحنبلي - توفي في عام 1089 هـ - في شذرات الذهب (ج 1 ص 51) ما يلي :
" أصح الأقاويل : إن المقتولين كانوا ألفين وثمان مئة " ..

ذكر المطهر بن طاهر المقدسي - توفي في عام 355 هـ - في البدء والتاريخ (ج 5 ص 136) ما يلي :
" لم يخطئ السيف منهم عشرة آلاف " ..

يذكر المسعودي - توفي في 346 هـ - في مروج الذهب (ج 2 ص 415) بعض المقاطع من سير معركة النهروان كما يلي :
" واجتمعت الخوارج في أربعة آلاف ، فبايعوا عبدالله بن وهب الراسبي سيروا إلى القوم ، فوالله لا يفلت منهم الا عشرة ولا يقتل منكم إلا عشرة ، فسار علي ، فأشرف عليهم ، وقد عسكروا بالموضع المعروف بالرميلة على حسب ما قال لأصحابه ، فلما أشرف عليهم قال : الله أكبر ، صدق الله ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فتصاف القوم ووقف عليهم بنفسه ، فدعاهم إلى الرجوع والتوبة ، فأبوا ورموا أصحابه ، فقبل له : قد رمونا فقال : كفوا ، فكرروا القول عليه ثلاثاً وهو يأمرهم بالكف ، حتى أتى برجل قتيل متشطح بدمه ، فقال علي : الله أكبر ، الآن حل قتالهم ، إحملوا على القوم ، فحمل رجل من الخوارج علي أصحاب علي فخرج فيهم ، وجعل يغطي كل ناحية ، ويقول :

أضربهم ولو أرى علياً *** ألبسته أبيض مشرفياً
فخرج إليه علي رضي الله عنه ، وهو يقول:
يا أيهذا المبتغي علياً *** إني أراك جاهلاً شقيّاً
قد كنت عن كفاحه غنياً *** هلم فابرزها هنا ليّاً
وحمل عليه عليّ فقتله ، ثم خرج منهم آخر ، فحمل على الناس ، ففتك فيهم وجعل يكر عليهم ، وهو يقول :
أضربهم ولو أرى أبا حسن *** ألبسته بصارمي ثوب عَن
فخرج إليه علي وهو يقول:
يا أيهذا المبتغي أبا حسن *** إليك فانظر أيّنا يلقي الغبن
وحمل عليه عليّ وشكه بالرمح ، وترك الرمح فيه ، فانصرف علي وهو يقول : لقد رأيت أبا حسن فرأيت ما تكره " ..

ذكر البلاذري – توفي في عام 297 هـ - في أنساب الأشراف (ج ص) ما يلي :
" ويظهر من بعض النصوص أن هذه الأرقام إنما تتحدث عن الفرسان منهم دون الرجالة " ..

لكن شبه المتفق عليه بين المؤرخين هو أن الناجين من الخوارج كانوا أدني من عشرة ، وأن القتلى من جيش الإمام كانوا أدني من عشرة ، هكذا صرحت النبوءة المحمدية التي تأخر النطق بها مدة ربع قرن تقريباً ..

قال البلاذري – توفي في 297 هـ - في أنساب الأشراف (ج 2 ص 373) ، وابن الأعمش – توفي في 314 هـ - (ج 4 ص 120) ،
والمسعودي – توفي في 346 هـ - في مروج الذهب (ج 2 ص 405) ، والخطيب البغدادي – توفي في 463 هـ - في تاريخ بغداد (ج 14 ص 365) ،
وابن المغازلي المالكي – توفي في 483 هـ - في مناقب أمير المؤمنين علي (ص 406) ، والموفق الخوارزمي الحنفي – توفي في 568 هـ - في المناقب (ص 185) ،
وابن شهر آشوب – توفي في عام 588 هـ - في مناقب آل أبي طالب (ج 2 ص 99) ،
وابن الأثير – توفي في 630 هـ - في الكامل في التاريخ (ج 3 ص 345) ،
وابن أبي حديد – توفي في 656 هـ - في شرح نهج البلاغة (ج 2 ص 273) ،
وبهاء الدين الأربلي – توفي في 692 هـ - في كشف الغمة عن علماء الأمة (ج 1 ص 267) ،
وابن الصباغ المالكي – توفي في 855 هـ - في الفصول المهمة (ص 93) ،
ونور الدين ابن أبي بكر الهيثمي – توفي في 807 هـ - في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (ج 6 ص 241) ،
والمتقي الهندي – توفي في 975 هـ - في كنز العمال (ج 11 ص 276)
بألفاظ متشابهة ما يلي :

" قد استفاض النقل عن أمير المؤمنين (ع) أنه أخبر أصحابه أنه لا يفلت من أهل النهروان إلا أقل من عشرة ، ولا يقتل من أصحابه حتى عشرة فكان كما قال " ..

قال ابن الأعمش في الفتوح (ج 4 ص 132) ، وابن الصباغ في الفصول المهمة (ص 93) أن الذين نجوا من الخوارج كانوا تسعة (هرب منهم رجلان إلى خراسان ، إلى أرض سجستان ، وفيها نسلهما إلى الساعة ، ورجلان صاروا إلى بلاد الجزيرة ، إلى موضع يقال له سوق التورخ ، وإلى شاطئ الفرات ، فهناك نسلهما إلى الساعة ، وصار رجل إلى تلّ يقال له : تلّ موزن) ..

قال أبو داود – توفي في 275 هـ - في سننه (ج 4 ص 245) ، والنسائي – توفي في 303 هـ - في خصائص أمير المؤمنين علي (ص 145) ،
وعبد الرزاق الصنعاني – توفي في 211 هـ - في مصنفه (ج 10 ص 184) ،
والبيهقي – توفي في 458 هـ - في السنن الكبرى (ج 8 ص 170) ،
ومحب الدين الطبري الشافعي – توفي في 694 هـ - في الرياض النضرة في مناقب العشرة (ج 3 ص 225) ما يلي :
" لم يُقتل من أصحابه (ع) سوى رجلين " ..

قال ابن الطقطقا – توفي في عام 709 هـ - في الفخري في الأداب السلطانية والدول الإسلامية (ص 95) ما يلي :
" اعتبر القتلى من أصحاب علي فكانوا سبعة " ..

قال ابن الأعمش في الفتوح (ج 4 ص 127) ما يلي :

" لم يقتل من أصحاب علي سوي أولئك التسعة " ..

وكما كانت الأخلاق العلوية في معركتي الجمل وصفين في إعادة أموال محاربيه إلي ورتتهم وعدم سبي النساء المسلمات ، كانت كذلك في معركة النهروان ..

قال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (ج 11 ص 3) عن عرفة عن أبيه أنه قال ما يلي :
" شهدت علياً حين ظهر على أهل النهروان ، فأمر بورتتهم فأخرجت إلى الرحبة ثم قال للناس : من عرف شيئاً فليأخذه ، فجعل الناس يأخذون ما عرفوا حتى كان آخر ذلك قدر من نحاس ، فمكثنا ثلاثة أيام لا يعرفها أحد ، ثم فقدتها ، فلا أدري من أخذها " ..

قال المتقي الهندي في كنز العمال (ج 7 ص 321) عن شقيق بن سلمة أنه قال ما يلي :
" لم يسب علي يوم الجمل ، ولا يوم النهروان " ..

نو الثدية (المخدج) ، علامة نبوية محمّدية تحمل دلالات عديدة

ذكرنا في وسط هذه الحلقة قول ابن الأعمش في الفتوح والذي قال فيه أن الإمام علي (ع) عاني كثيرا في إقناع الكوفيين بالانخراط في جيشه لمحاربة الخوارج ، كما ذكرنا امتعاض بعض أصحابه لمحاربتهم بسبب ما عرف عنهم من تقوي وخشوع في الصلاة ..

لكن ما أن تكلم الإمام علي (ع) ببعض الكلمات النبوية كانت مرتبطة بذئ الثدية حتى تمكن من تجنيد أربعة آلاف من الكوفيين لمحاربة الخوارج ، فماذا قال لهم الإمام علي عن ذي الثدية ؟

ذكر أبو داود – توفي في عام 275 هـ - في سننه (حديث رقم 4768) وصححه الألباني عن زيد بن وهب الجهني – وكان مشاركا في جيش الإمام ضد الخوارج – أن الإمام علي خطب في جيشه وقال ما يلي :
" أيها الناس ، إنني سمعت رسول الله (ص) يقول : يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن ، ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء ، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء ، يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم ، وهو عليهم ، لا تجاوز صلاتهم تراقبهم ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضي لهم على لسان نبيهم (ص) لا اتكلوا على العمل ، وآية ذلك: أن فيهم رجلاً له عضد ليس له ذراع ، على رأس عضده مثل حلمة الثدي ، عليه شعرات بيض ..
أفتذهبون إلى معاوية وأهل الشام ، تتركون هؤلاء يخلفونكم في ذرائكم وأموالكم ؟ ! والله ، إنني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم ، فإنهم قد سفكوا الدم الحرام ، وأغاروا في سرح الناس ، فسيروا على اسم الله " ..

قال أحمد – توفي في 241 هـ - في مسنده (ج 1 ص 95) ، والنسائي في خصائص أمير المؤمنين علي (ص 146) ، وعبد الرزاق الصنعاني – توفي في 211 هـ - في مصنفه (ج 10 ص 149) ، ومحب الدين الطبري الشافعي – توفي في 694 هـ - في الرياض النضرة (ج 2 ص 225) ، وابن كثير في البداية والنهاية (ج 7 ص 292) عن عبيدة السلماني أن الإمام علي (ع) قال :
" قال رسول الله : يخرج قوم فيهم رجل مودن (أو مثنون ، أو مخدج اليد) لولا أن تبطروا لأنبأتكم بما وعد الله الذين يقتلونهم على لسان نبيه .. قال عبيدة : قلت لعلي رضي الله عنه : أنت سمعته من رسول الله ؟! قال : إي ورب الكعبة ، إي ورب الكعبة ، إي ورب الكعبة .. " ..

(ملاحظة : هكذا كانت تلك النوعية من الأحاديث النبوية المرتبطة بذئ الثدية والتي رواها الإمام علي (ع) عن رسول الله (ص) حافزا في تعبئة الكوفيين ، أما في الطريق القصير إلي النهروان ، فقد تكفلت النبوءات النبوية التي ذكرها الإمام علي (ع) عن رسول الله (ع) وذكرناها في هذه الحلقة بالحفاظ علي الجيش العلوي علي مستوي جيد من الثقة تضمن لهم الطمأنينة بأنهم علي الحق) ..

قال مسلم – توفي في 261 هـ - في صحيحه (ج 1 ص 343) ، والنسائي – توفي في عام 303 هـ - في خصائص أمير المؤمنين علي (ص 45) ، وابن سعد – توفي في 230 هـ - في الطبقات الكبرى (ج 4 ص 36) ، وعبد الرزاق الصنعاني – توفي في 211 هـ - في مصنفه (ج 10 ص 148) ، والبيهقي – توفي في 458 هـ - في السنن الكبرى (ج 8 ص 170) ، وابن كثير – توفي في

774 هـ - في البداية والنهاية (ج 7 ص 291) ما يلي :
" وحين وجدوا المخدج كبر (ع) ثم قال : صدق الله ، وبلغ رسوله ، فقام إليه عبيدة السلماني ، فقال : يا أمير المؤمنين ، الله الذي لا اله إلا هو ، أنت سمعت هذا الحديث من رسول الله ؟ فقال : إي والله الذي لا إله إلا هو ، حتى استحلفه ثلاثاً ، وهو يحلف " ..

قال الخطيب البغدادي - توفي في عام 463 هـ - في تاريخ بغداد (ج 1 ص 174) عن ابن عباس أنه قال ما يلي :
" لما أصيب أهل النهروان خرج علي وأنا خلفه فجعل يقول: ويلكم التمسوه - يعني المخدج - فالتمسوه ، فجاءوا فقالوا: لم نجده ، فعرف ذلك في وجهه ، فقال علي : ويلكم ضعوا عليهم القصب ، أي علموا كل رجل منهم بالقصب ، فجاءوا به ، فلما رآه خرّ ساجداً " ..

قال النسائي في خصائص أمير المؤمنين علي (ص 30) ما يلي :
" أنه (ع) لما لم يجدوه قام والعرق يتصبب من جبهته حتى أتى وهدة من الأرض ، فيها نحو من ثلاثين قتيلاً ، فاستخرجه منهم ، وأظهر للشاك بالأمر آيتين جعلتاه يعود إلى يقينه " ..

ويضيف النسائي في نفس المصدر (ص 144) ، والخطيب البغدادي - توفي في عام 463 هـ - في تاريخه (ج 1 ص 160) ، ونور الدين ابن أبي بكر الهيثمي - توفي في عام 807 هـ - في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (ج 6 ص 41) ، والمتقي الهندي - توفي في عام 975 هـ - في كنز العمال (ج 11 ص 275) أن الإمام علي (ع) حين انتهى من قتال الخوارج ولم يجد في بادئ الأمر ذا الثدية قال لأصحابه : انتوني بالبعلة (كانت البعلة النبوية معه) فإنها هادية ..

قال ابن شهر آشوب - توفي في عام 588 هـ - في مناقب آل أبي طالب (ج 3 ص 191) ما يلي :
" أنه (ع) قال لهم: اطلبوا المخدج ، فقالوا : لم نجده ، فقال : والله ، ما كذبت ولا كذبت ، يا عجلان! انتني ببغلة رسول الله (ص) ، فاتاه بالبعلة ، فركبها ، وجال في القتلى ، ثم قال : اطلبوه ههنا ، قال: فاستخرجوه من تحت القتلى في نهر وطين " ..

يقول ابن كثير في البداية والنهاية (ج 7 ص 295) بأن الإمام علي (ع) بكى مرتين حين كانوا يخبرونه بعدم وجدانه ، ثم قام في الثالثة بنفسه فركب بغلته الشهباء ، فلما وجده سجد..

قال ابن المغازلي المالكي - توفي في عام 483 هـ - في مناقب الإمام علي (ص 415) ، وابن أبي حديد - توفي في عام 656 هـ - في شرح نهج البلاغة (ج 2 ص 277) عن يزيد ابن رويم أنه قال ما يلي:
" قال علي (ع) يقتل اليوم أربعة آلاف من الخوارج ، أحدهم ذو الثدية ، فلما طحن القوم ، ورام استخراج ذي الثدية ، فاتبعه ، أمرني أن أقطع له أربعة آلاف قصب ، وركب بغلة رسول الله (ص) ، وقال : اطرح على كل قتيل منهم قصب ، فلم أزل كذلك ، وأنا بين يديه ، وهو راكب خلفي ، والناس يتبعونه حتى بقيت في يدي واحدة ، فنظرت إليه وإذا وجهه أريد ، وإذا هو يقول : والله ، ما كذبت ، ولا كذبت ، فإذا خريير ماء عند موضع دالية (ثم يذكر العثور على ذي الثدية هناك) ، ثم يقول : فكبر علي بأعلى صوته ، ثم سجد ، فكبر الناس كلهم" ..

(ثلاث ملاحظات : الملاحظة الأولى : تدل النصوص التي تذكر البغلة الشهباء النبوية علي لسان الإمام علي (ع) أنه استمر في ذكر النبوءات النبوية حتى بعد انتهاء معركة النهروان وحسم الموقف معهم ، فما عجز عنه الناس نجحت فيه بغلة رسول الله (ص) في لحظات ، وهي وسيلة مثلي من الإمام لتثبيت الإيمان في قلوب جيشه ..

الملاحظة الثانية : يدل استمرار الإمام علي (ع) في إعطاء النبوءات النبوية المحمدية علي مدي المعاناة التي لاقاها مع جيشه في حربه مع الخوارج ، وحتى بعد الانتصار الحاسم عليهم وظهور تلك النبوءات المتتالية ، استمر بعض القوم في جيشه إيذاء مشاعره بالحنين إلي أسلافهم من الخوارج ، وكأنهم في بلاهة مستحكمة وغباء مطبق علي عقولهم ، تماماً كما وقعوا في خديعة عمرو يوم رفع المصاحف في صفين وهذا أولاً ، وكذلك يوم رفضوا - بعد فترة قصيرة - ما أجبروا الإمام عليه وهددوه يومها بقتله أو تسليمه إلي معاوية ، وهذا ثانياً ، وأيضاً يوم رفعوا شعار " لا حكم إلا لله في الكوفة " ، فخلطوا بين التحكيم والحكمية ، وهذا ثالثاً ، وكذلك يوم قتلوا الإمام علي فأسدوا خدمة عظيمة لمعاوية الذي لم يتمكن أبداً من الوصول إلي الإمام ، فأوقفوا بتلك الجريمة الدولة الأموية علي قدميها وهذا رابعاً..

قال ابن أبي حديد في شرح نهج البلاغة (ج 1 ص 146) أنه بعد أن فرغ الإمام علي (ع) من أهل النهروان وخطب الناس بالنخيلة : قام إليه رجل منهم ، فقال: ما أحوج أمير المؤمنين اليوم إلى أصحاب النهروان ، ثم تكلم الناس من كل ناحية ولغطوا !!

الملاحظة الثالثة : دراستنا هنا تنصب علي مرحلة الخوارج ، لكن المتابع لمرحلة ما بعد الخوارج سيدجد أن الإمام علي (ع) قد عاني أشد المعاناة في تعبئة جيشه لملاقاة معاوية بعد النهروان ، حتى صرح لهم بأنه قد ملهم وملوه ، وأنه مشتاق كي يخرج أشقاها – شقيق عاقر ناقة صالح - كي تخضب اللحية من ضربة الرأس ، وفي هذا إشارة إلي النبوة المحمدية التي علمها من رسول الله (ع) بأن قاتله يكني بشقيق عاقر ناقة صالح وأن حاضنته يهودية ، والملفت للنظر أن الإمام كان يعرف عبد الرحمن بن ملجم ، ويعرف أن حاضنته كانت يهودية ، ويعرف أنه قاتلته ، علي ولم يشأ الإمام علي أن يمسه لأنه لا جرم عليه رغم إلحاح بن ملجم له بأن يقتله أو يقطع يديه ، وضربه بن ملجم ضربة الموت في 19 رمضان علي رأسه فحضب الدم لحيته ، فصدقت النبوءات في مقتل الإمام ، الذي قال حين ذلك " فزت ورب الكعبة " ..

ذكر أحمد في مسنده (ج 4 ص 263) ، وابن قتيبة الدينوري في الإمامة والسياسة (ج 1 ص 135) ، والحاكم في المستدرک (ج 3 ص 140) ، والنسائي في خصائص أمير المؤمنين (ص 39) بنحو مشابهة عن عمار بن ياسر أنه قال :

" كنت أنا وعلي رفيقين في غزوة ذات العشيرة ، فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأقام بها ، رأينا ناساً من بني مدلج يعملون في عين لهم في نخل ، فقال لي علي: يا أبا اليقظان ، هل لك أن تأتي هؤلاء فننظر كيف يعملون؟ فجنناهم فنظرنا إلى عملهم ساعة ثم غشيننا النوم فانطلقت أنا وعلي فاضطجعنا في صور من النخل في دقعاء من التراب ففمنا، فوالله ما أهينا (ما أيقظنا) إلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحركنا برجله وقد تتربنا من تلك الدقعاء ، فيومئذ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي: يا أبا تراب، لما يرى عليه من التراب، قال: ألا أحدثكما بأشقى الناس رجلين؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: احيمر ثمود الذي عقر الناقة ، والذي يضربك يا علي على هذه - يعني قرنه - حتى تبل منه هذه يعني لحيته " ..

قال البلاذري في أنساب الأشراف (ج 2 ص 499) أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :

" أشقى الأولين عاقر الناقة ، وأشقى الآخرين من هذه الأمة الذي يطعنك يا علي. وأشار إلى حيث طعن " ..

قال ابن عبد ربه في العقد الفريد (ج 2 ص 298) عن عثمان بن صهيب عن أبيه أن النبي (ص) قال لعلي :

" من أشقى الأولين؟ قال: الذي عقر الناقة - يعني ناقة صالح - قال: صدقت ، فمن أشقى الآخرين؟ قال: لا أدري ، قال: الذي يضربك على هذا يعني يافوخه ويخضب هذه، يعني لحيته " ..

ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب في معرفة الأصحاب (ج 3 ص 1125) عن سكين بن عبد العزيز العبدي أنه سمع أباه يقول ما يلي :

" جاء عبد الرحمن بن ملجم يستحمل علياً فحمله ثم قال:

أريد حياته ويريد قتلي *** عذيري من خليبي من مراد

أما إن هذا قتلي ، قيل : فما يمنعك منه ؟ قال : أنه لم يقتلني بعد ، واتي علي رضي الله عنه ، فقيل له : ابن ملجم يسم سيفه ويقول أنه سيفتك بك فتكة يتحدث بها

العرب ، فبعث إليه فقال له : لم تسم سيفك ؟ قال : لعدوي وعدوك ، فخلى عنه وقال : ما قتلتني بعد " ..

ذكر ابن عساکر في تاريخ مدينة دمشق (ج 3 ص 279) عن أبي الطفيل أنه قال ما يلي :

" إن علياً لما جمع الناس للبيعة جاء عبد الرحمان بن ملجم فرده مرتين ، ثم قال: ما يحبس أشقاها فوالله لتخضبن هذه من هذا " ..

وذكر ابن عساکر في نفس الصفحة بالمصدر السابق عن أبي حرب ابن الأسود الدؤلي عن أبيه عن الإمام علي (ع) أنه قال ما يلي :

" أتاني عبد الله بن سلام وقد وضعت قدمي في الغرز فقال لي : لا تقدم العراق فأتني أخشى أن يصيبك بها ذباب السيف، فقال علي: وايم الله لقد اخبرني به رسول

الله ، قال أبو الأسود : فما رأيت كالذي قط محارباً يخبر بهذا عن نفسه " ..

يضيف ابن عساکر في المصدر السابق (ج 3 ص 285) عن أبي جرير عن سعيد ابن المسيب أنه قال ما يلي :

" رأيت علياً على المنبر وهو يقول : لتخضبن هذه من هذه! وأشار بيده إلى لحيته وجبينه فما يحبس أشقاها ؟ قال : فقلت : لقد ادعى علي علم الغيب ، فلما قتل

علمت أنه قد كان عهد إليه " ..) ..

قال المسعودي – توفي في عام 346 هـ - في مروج الذهب (ج 2 ص 406) ما يلي :

" أمر علي بطلب المخدج ، فطلبوه ، فلم يقدروا عليه ، فقام علي ، عليه أثر الحزن لفقد المخدج ، فانتهى إلى قتلى بعضهم فوق بعضهم ،

فقال : أفرجوا ، ففرجوا يميناً وشمالاً ، واستخرجوه ، فقال علي : الله اكبر ما كذبت علي محمد ... إلى أن قال: فتى علي رجله ، ونزل ،

وخر لله ساجداً " ..

ذكر الحاكم – توفي في عام 405 هـ - في المستدرک (ج 2 ص 154) وصححه الذهبي علي شرط الشيخين ، والخطيب البغدادي –

توفي في عام 463 هـ - في تاريخه (ج 13 ص 158) ، وابن كثير – توفي في عام 774 هـ - في البداية والنهاية (ج 7 ص 294

(عن مالك بن الحارث أنه قال ما يلي :

" شهدت علياً رضي الله عنه يوم النهروان ، طلب المخدج فلم يقدر عليه ، فجعل جبينه يعرق وأصابه الكرب ، ثم إنه قدر عليه ، فخر

ساجداً ، فقال : والله ، ما كذبت ولا كذبت " ..

ذكر أحمد – توفي في عام 241 هـ - في مسنده (ج 1 ص 108) ، والموفق الخوارزمي الحنفي – توفي في عام 568 هـ - في

المناقب (ص 185) ، وابن كثير في البداية والنهاية (ج 7 ص 292) ما يلي :

" إنهم حين وجدوا المخدج كبر علي ، وحمد الله ، وخر هو والذين كانوا معه سجداً " ..

قال الطبري – توفي في عام 310 هـ - في تاريخ الأمم والملوك (ج 4 ص 69) ما يلي :
" إنهم حين وجدوا المخدج وأخبروا علياً (ع) بذلك قال : اقطعوا يده المخدجة ، واثنوني بها ، فلما أتى بها أخذها ثم رفعها وقال : والله ، ما كذبت ، ولا كذبت " ..

(ملاحظة : هناك شك كبير في رواية الطبري ، ونرد عليه بنقطتين ، وهما ما يلي :

1- الثابت أن الإمام علي (ع) كان يهني دائماً عن التمثيل بجثث القتلى ، وقطع يد الميت بعد تمثيلاً بحرمة ، وهو لم يخالف قط التعاليم النبوية ، ففي سنن أبي داود (ج 3 ص 544) ، وسنن ابن ماجة (ج 1 ص 516) ، ومسند أحمد (ج 1 ص 56) ، ومصنف الصنعاني (ج 3 ص 444) وصحيح ابن حبان (ج 7 ص 437) ، وسنن البيهقي (ج 4 ص 58) عن أم المؤمنين عائشة عن النبي (ص) أنه قال : " كسر عظام الميت ككسره حي " ..
2- لا يوجد حاجة ماسة ليطلب الإمام علي قطع يد المخدج ليراها الناس ، فمن المعقول والمنطقي أن يشاهد الناس جثته وهي بكاملها علي الأرض !) ..

قال ابن أبي حديد – توفي في عام 656 هـ - في شرح نهج البلاغة (ج 2 ص 276) ما يلي :
" قال عليٌّ : نقتل اليوم أربعة آلاف من الخوارج ، أحدهم ذو النديّة ، فلما طُحن القوم ورام استخراج ذا النديّة ، أمرني أن أقطع له أربعة آلاف قصبة ، وركب بغلة رسول الله وقال: إطرح على كل قتيل منهم قصبة ، فلم أزل كذلك وأنا بين يديه وهو راكب خلفي ، والناس يتبعونه حتى بقيت في يدي واحدة ، فنظرت إليه وإذا وجهه ازْبَدَ وإذا هو يقول: والله ما كذبتُ ولا كُذِّبتُ ، فإذا خرير ماء عند موضع دالية ، فقال: فتش هذا ، ففتشته فإذا قتيل قد صار في الماء ، وإذا رجله في يدي فجذبتها وقلت: هذه رجل إنسان ، فنزل عن البغلة مسرعاً ، فجذب الرجل الأخرى وجررناه ، حتى صار على التراب ، فإذا هو المخدج ! فكبر عليٌّ بأعلى صوته ثم سجد ، فكبّر الناس كلهم .. " ..

قال اليعقوبي – توفي في عام 284 هـ - في تاريخه (ج 2 ص 193) ما يلي :

" فرجع يومئذ من الخوارج ألفان وأقام أربعة آلاف ، والتحمت الحرب بينهم مع زوال الشمس فأقامت مقدار ساعتين من النهار ، فقتلوا من عند آخرهم وقتل ذو النديّة ، ولم يفلت من القوم إلا أقل من عشرة ، ولم يقتل من أصحاب علي إلا أقل من عشرة . وكانت وقعة النهروان سنة 39 .. ولما قدم علي الكوفة (بعد النهروان) قام خطيباً فقال بعد حمد الله والثناء عليه والتذكير لنعمه والصلاة على محمد وذكره بما فضله الله به: أما بعد أيها الناس فأنا فقأت عين الفتنة ولم يكن ليجتري عليها أحد غيري ، ولو لم أكن فيكم ما قوتل الناكثون ولا القاسطون ولا المارقون ، ثم قال : سلوني قبل أن تفقدوني فأني عن قليل مقتول فما يحبس أشقاها أن يخضبها بدم أعلاها ! فوالذي فلق البحر وبراأ النسمة لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة ، ولا عن فتنة تضل مائة أو تهدي مائة ، إلا أنبأتكم بناعقها وقائدها وسائقها إلى يوم القيامة " ..

قال المتقي الهندي – توفي في 975 هـ - في كنز العمال (ج 11 ص 302) عن ابن جرير عن أبي سعيد الخدري أنه قال :

" حدثني عشرة من صحابة النبي ، ممن أرتضي ، في بيتي هذا : أن علياً قال : التمسوا لي العلامة التي قال رسول الله عنها ، فأني لم أكذب ، ولم أكذب ، فجيء به ، فحمد الله علي حين عرف علامة رسول الله .. " ..

(ملاحظة : أبو سعيد الخدري يشترط حضور عشرة من الصحابة ممن يرتضي ، وفي هذا رد مقنع لمن يعتقد أن الصحابة كلهم عدول، ولمزيد من الإضافة في هذا الشأن ننوه إلي دراسة من ثمان حلقات بعنوان " نظرية عدالة الصحابة ، صنعها الأمويون للتغطية علي جرائمهم " لكتاب هذه الدراسة مدونته) ..

في الحلقة القادمة - إن شاء الله - سواصل الحديث ، فإلي لقاء ..

رائف محمد الويشي

سانت لويس – ميزوري - أمريكا

elwisheer@yahoo.com

تابع مقالات سابقة لكتاب المقال على مدونته " ثوار مصر " وعنوانها كما يلي :

www.thowarmisr.com